د/ محمد الأنور حامد عيسى

حول الأولياء و الكرامات

الطبعة الأولى
١٤١٠هـ - ١٩٨٩م

توزيـــع
شركة الصفا للطباعة والترجمة والنشر
٣٤ شارع عبد الخالق ثروت القاهرة
ت ٣٩٢٩١٩٨

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــدمة

الحمــد لله نستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنـــا وسيئات أعمالنا ، من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له .

ونشهــد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، ونشهد أن محمــدا عبد الله ورسوله وصفيه وخليله .

اللهم صلى وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعـــد

فقد دار حوار ذات يوم بينى وبين اخوة أعزة يعملون فى مجالات ثقافية متعددة ، وموضوع الحوار هم الذين حددوه ، ورأيتهم يطرحون على بساط البحث شبهات ، ويصرون على أنهـا تلقى بظلال كثيفة بــل وتلغى كلية فكرة وجود أولياء أو كرامات .

وعادت بى الذاكرة الى الماضى البعيــد حيث وجدت هناك نفس الشبهات ، ونفس الأفكار ، وكأن التاريخ يعيد نفسه ليثبت أنه لا جديد تحت الشمس .

وعادت بى ثانية الى الماضى القريب ، وهناك امتدت يدى فى لهفة ، واصغت أذنى فى حرص شديد ، وفتحت عينـــاى فى انبهــار ، وشرفت كما شرف غيرى برؤية وسماع ومصافحة ولى من أولياء الله الصالحين ، شرف القرن العشرين الميلادى بوجوده فيه وهو الشيخ محمد الحــافظ التيجانى رحمه الله وأسكنه فسيح جناته .

لقد رأيت الرجل شعلة من نور ، وكأنه يستمد نوره مباشرة من النبوة المحمدية ليضىء للحيارى على الطريق •

وأشهد أن مجرد رؤيته كانت دافعا لعودة الكثير من الشاردين الى حظيرة الايمان •

وأشهد أن ماركسيا عنيدا صحبنى فى تحد صارخ وسخرية لاذعة ذات يوم فى زيارة للشيخ ، وهو يردد أسئلة يهدف من ورائها الى احراجه والايقاع به •

وحينما وصلنا وجدت الماركسى ينظر الى الشيخ ويمعن النظر ويلتفت يمنة ويسرة ويطاطىء رأسه ، ومرت فترة ليست بالقصيرة ثم فجأة وجدت صاحبى يمد يده للشيخ ويقبله فى حنان وهو يبكى •

وبعد خروجنا سألته فأقسم لى — وكانت أول مرة يقسم بالله — أنه رأى نورا مبهرا لم يره قط فى حياته يحيط بالشيخ من جميع الجوانب وسمع منه اجابات دقيقة مقنعة عن الأسئلة التى كان يزورها فى نفسه ولم يطرحها •

تحركت الصور الثلاث أمام عينى : صورة المجادلين من الأصدقاء ، وصورة المعتزلة وغيرهم ، وصورة الماركسى الذى صار بعد الزيارة مباشرة من المؤمنين الأتقياء •

وراحت كلها تطالبنى بكتابة بحث موجز عن الأولياء والكرامات ، اعرف فيه بالولى وعلاماته والدلائل من النقل والعقل على وجوده •

والكرامات ومعناها والفرق بينها وبين المعجزات ، وبينها وبين الخوارق الحقيقية الأخرى ثم مايخيل للناس أنه من الخوارق ، والدلائل من النقل والعقل على وجود الكرامات •

ثم أناقش فيه الشبه الجديدة القديمة ، وأوضح الفرق بين النبى والولى وموقف الأولياء من التكاليف الشرعيـــة ، وموقفنا نحن من نفع الولى لغيره •

وانى اذ أفعل أدعو الله ســبحانه أن يهدينــا جميعــا لما يحبــه ويرضاه •

انه نعم المولى ونعم الوكيل •

د/محمد الأنور حامد عيسى

مدينة نصر

١٤١٠ هـ — ١٩٨٩ م

موقف العقل من الولاية والكرامة

الولاية والكرامة من الأمور الممكنة عقــلا ، اذ لا يترتب عليهما أى مستحيل •

فالانسان مخلوق لله ، صنعه بيديه ، ونفخ فيه من روحه ، وأمر الملائكة أن تسجد له •

هذا الانسان فيه الجزء المادى كبقية المخلوقات ، ويتبع هذا الجزء المادى أو الطينى كل ما يتصل بالنفس الأمارة بالسوء •

وفيه الجزء الروحانى وهو يتبع كل ما يتصل بالنفس المطمئنة وبين النفس المطمئنة والنفس الامارة تكون النفس اللوامة •

وتكون حركة الانسان ، فاذا انتصرت النفس الأمارة ، كان الشر والتسفل والبهيمية وسوء المصير •

أما اذا انتصرت النفس المطمئنــة ، كانت الشــفافية والســمو والتعالى والتطهر ، وكانت المعرفة الحقيقية بوحدانيــة الله سبحانه فى ذاته وفى صفاته وفى أفعاله •

ومع المعــرفة الحقة يأتى الايمان الحق وتأتى العبــادة الحقة ، فيوحد المخلوق الخالق توحيد ربوبيــة ، بأن يصــدق تصديقا جازما لا يداخله أى شــك بأنه سبحانه هو الخالق والرازق والمعطى والمانع والمحيى والمميت والمتصرف فى هذا الكون بارادته ، القيوم بكل معانى القيومية •

ويوحده توحيــد ألوهية ، بأن يفرده سبحانه ويخصــه وحــده بالخشوع والطــاعة والانقياد والتسليم المطلق ، ولا يلجــأ الا اليه ولا يستعين الا به ، ولا يرجو الا اياه •

ومع المعرفة والتوحيـد تتخلص الروح من عوالق المادة ، وآن ذاك تكون مستعدة لتلقى الفيوضات الربانية ، والاتصال بعـالم الملأ الأعلى ، وتصبح كمرآة مصقولة صافية تظهر على صفحتها أمور لم تكن فى حسبان أحد .

الانسان اذا بكل مكوناته من خلق الله سبحانه وتعالى .

والله عز وجل يتصف بالارادة والقدرة الشاملة لكل الممكنات فاذا أراد بعبد تطهرا طهره وأقدره على احداث هذا التطهر .

واذا أراد به حفظـا من الشرور والآثام حفظـه ، ومع التطهر والحفظ اذا أراد أن يكون العبد تابعا محبا له سبحانه والاه ونصره وقـربه .

واذا أراد اظهار بعض الكرامات — أى الخوارق للعادة — على يدى هذا العبـد المطهر المحفوظ ، تكريما له أو دفعا له لمواصلة السير على طريقه سبحانه ، أو ليحبه الخلق ويتبعونه فى دعوته ويقلدونه فى عبـادته وصفاته ، فعل سبحانه ولا راد لأمره [**انمـا أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون**] يس — ٨٢ — .

والعبد قابل لكل شيء لأنه ممكن ، والله سبحانه وتعالى فاعل لكل شيء لأنه واجب الوجود لذاته .

فاذا تعلقت قدرة الفاعل وارادته وهو الله عز وجل بأى ممكن يتصل بالقابل وهو الانسان حدث وفق مشيئته .

واذا أراد أن يكون العبد وليا له والاه ، واذا أراد اظهار كرامة على يدى هذا الولى أظهرها وليس للعبد دخل الا بالتطهر .

ولا تأثير للسببية بل لا ضرورة لها فى مثل هذا الأمر .

اذ أنه سبحانه وتعالى خالق السببية ، ويمكن له تعطيلها كمعجزة لنبى أو كرامة لولى ٠

فالنار بطبعها كسبب تحرق ، ومع هذا حينما وضع سيدنا ابراهيم فيهـــا قال لها سبحانه وتعالى **(كونى بردا وســلاما على ابراهيم)** الأنبياء/٦٩ ، فتعطل عملها باذن خالقها ، والانجاب لا يتحقق الا بلقاء بين رجل وامرأة ومع ذلك قضى ســبحانه أن يكون آدم بلا أبوين وأن تكون حواء بلا أم وأن يكون عيسى بلا أب ٠

ولم يكن ذلك الا لتعريف الانسان أن السببية التى وضعها سبحانه واقعـــة تحت قدرته ويتحكم فيها ايجابا أو سلبـــا بأن يوفرها وتعمل ويوفرها ولا تعمل ، ولا يوجدها أو يوجد جـــزءا منها وتكون النتائج كأنها موجودة فعلا ٠

ولا تتنافى الكرامات مع معجزات الرسل كما سنبين فيما بعد ٠

واذا كانت الولاية والكرامة من الأمور الممكنة عقلا فهل فى النقل الشريف ما يؤيد ذلك ٠

الدلائل من النقـــل على وجود الولاية والـــكرامة

الولاية والكرامة من الأمـــور الممكنة عقـــلا ، لأنهما من أفعـــال الله سبحانه ، وكل ما كان من أفعاله فهو واقع تحت قدرته ٠

فخلق الانسان واختصاصه بأشياء دون أشياء ، واصطفاء الرسل وعصمتهم ، وتقريب بعض العباد وحفظهم ، وغير ذلك ، أمور ممكنـــة ولا يترتب على وقوعها أى مستحيل ٠

وقد ورد النقـــل بما يؤكد وجود أولياء لله يقول سبحانه وتعالى

(ألا ان أوليـــاء الله لا خوف عليهم ولا هم يحـــزنون . الذين آمنـــوا وكانوا يتقون . لهـــم البشرى فى الحياة الدنيـــا وفى الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم) الآيات من ٦٢ : ٦٤ يونس .

لقد أكد سبحانه وتعالى وجود صنف من النـــاس هم أولياء له عز وجل ، ووصفهم سبحانه بأنه لا خوف عليهم .

والخوف يكون من شىء يحدث فى المستقبـــل ، وهم دوما مع الله تعالى ، ومن كان فى معيته فلا خوف عليه من أى شىء .

— ولا هم يحزنون — والحزن يكون على شىء حبيب للنفس فات .

ولا شىء يحبونه فى دنيا النـــاس سوى الله سبحانه ، فكل ما فات لا شىء بالنسبة لهم فلا حزن اذن .

ان الولى فى غاية القرب من الله وهو مستغرق بكيانه كله فى معرفة الله وحبه وعبادته [ومتى كانت هذه الحالة حاصلة فان صاحبها لا يخاف شيئا ولا يحزن بسبب شىء ، وكيف يفعـــل ذلك ، والخوف من الشىء والحزن على الشىء لا يحصل الا بعد الشعور به .

والمستغرق فى نور جلال الله غافل عن كل ما سوى الله تعالى فيمتنع أن يكون له خوف أو حزن](١) .

وقيل [لا خوف عليهم ولا هم يحزنون] أى فى الآخرة . أما الدنيا فهى دار خوف وحزن اذ هى سجن المؤمن كما يقول الرسول صلى الله عليه وسلم ، وفى السجن يكون الخوف من التقصير فى حق الله تعالى ، كما يكون الحـــزن على ما فات من ماضى الزمن دون أن تؤدى الطاعة الواجبة له سبحانه على الوجه الأكمل .

---

(١) تفسير الفخر الرازى م ٩ ج ١٧ ص ١٣٣ .

كما وصفهم أيضا بأنهم مصدقون تصديقا قلبيا جازما لا يداخله أى شك به سبحانه وبملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره ، وبأنهم مقرون بألسنتهـم وعاملون بجوارحهم ، ويتحركون دائما فى دائرة التقوى •

وبأن لهـم البشرى فى الدنيا بالرؤيا الصـالحة ، وبحفظهم من الشرور ، وبجعل وجوههم بيضاء وقلوبهم نقية خالصة لوجهه سبحانه ولهم البشرى بمحبة الناس لهم والثناء عليهم ومحاولة اتخاذهم قدوة فى أفعالهم وأقوالهم •

وفى الآخرة تكون البشرى بسلام الملائكة عليهم(١) •

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لقد كان فيما قبلكم من الأمم ناس محدثون ، فان يكن فى أمتى أحد فانه عمر) رواه البخارى ومسلم — ومحدثون أى ملهمون •

وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أن الله تعالى قال من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب) رواه البخارى •

وفى حديث قدسى يقول تعالى [ان أوليائى من عبـادى وأحبائى من خلقى الذين يذكرون بذكرى واذكر بذكرهم] مسند الامام أحمد بن حنبل جـ ٣ ص ٤٣٠ •

والـكرامات الواردة فى القـرآن الكريم والتى ظهرت على بعض الصالحين كثيرة تؤكد وجود الولى كما تؤكد وجود نفسها •

واذا كان النقل من القـرآن الكريم والسنة المطهرة يؤكد وجود الولاية والكرامة ، واذ كان العقـل يقول بجواز ذلك اذ لا يترتب على وجودهما أى مستحيل • فمن هو الولى ؟ وما هى أهم علاماته ؟

---

(١) المرجع نفسه ص ١٣٤ •

تعـــريف الولى

الولى فى اللغة هو الصديق والنصير والتابع والمحب والقريب .

والولاية النصرة ، والولى (يقال فى معنى الفاعل أى الموالى وفى معنى المفعول أى الموالى)[1] أى المستمر فى طاعة الله دون عصيان والله سبحانه يتولاه دون أن يكله لنفسه .

والموالاة ضـــد المعاداة ، والولى ضـــد العدو يقول عز وجـــل (الله ولى الذين آمنـــوا) **البقرة ٢٥٧ ـــ أى ناصرهم على أعدائهم فى** حجاجهم وهدايتهم واقامة البرهان لهم ، واظهار دينهم على مخالفيهم ، ومحب لهم . وهو يتولى مجازاتهم على أعمالهم وانهم يصدقونه فى كل أقوالهم وينفذون شرعه فى سرهم وجهرهم .

أما فى الاصطلاح فان الولى من والى اذا نسبت للعبد ومن تولى اذا نسبت للرب ، بمعنى أن العبد والى طاعاته لله سبحانه وتعالى دون أن يتخللها فاصل من المعاصى فتوالت الطاعات أى أتى بعضها عقب بعض وأن الله سبحانه تولى عبده بالحفظ والنصرة والحب فتوالت طاعته لربه يقول القشـــيرى (الولى له معنيان فعيل بمعنى مفعول وهو من يتولى الله سبحانه وتعالى أمره [**وهو يتولى الصـــالحين**] الأعراف / ١٦٦ فلا يكله الى نفســـه لحظة بل يتولى سبحانه رعايتـــه . والثانى فعيل بمعنى فاعـــل وهو الذى يتولى عبادة الله وطاعتـــه فعبادته تجرى على التوالى من غير أن يتخللها عصيان)[2] .

---

(١) بصائر ذوى التمييز جـ ٣ ص ٢٨١ للفيروزابادى والموالى االأولى (بكسر اللام اسم فاعل واما الثانية فبفتح اللام اسم مفعول .

(٢) الرسالة القشيرية جـ ٢ ص ٥٢٠ دار الكتب الحديثة . القاهرة .

ونلاحظ أن التعريف يشـــمل أمرين مواصلة العبد لطاعتـــه لربه وابتعاده كلية عن المعـــاصى وهذا أمر أول • وقـــد ترتب عليه حفظ الله سبحانه لعبده ونصرته له وهذا أمر ثان •

والولى لا يكون وليا الا مع توفر الأمرين •

وهو محفوظ من المعاصى لا على سبيـــل الوجوب لأن الحفظ على سبيل الوجوب هو العصمة وهى لا تكون الا للأنبياء •

يقول سهل التسترى (الولى هو من توالت أفعاله على الموافقة) فكل أعماله وأقواله فى السر والعلانية تتتابع فى اطار الطاعات لله •

ويقول سعد الدين التفتـــازانى (الولى هو العارف بالله تعـــالى وصفاته المواظب على الطاعات ، المجتنب عن المعـــاصى ، المعرض عن الانهماك فى اللذات والشهوات)(١) •

ويذكر الفخر الرازى تفسيرا للولى يبين أنه هو القريب من الله سبحانه المستغرق فى نور معرفة الله ، المحب لذاته عز وجل • يقول ولى الله تعالى هو الذى يكون فى غاية القــرب من الله ، ولما كان القرب بالمكان والجهة محالا ثبت انه انما يكون باستغراق القلب فى نور معرفة الله تعالى •

فان رأى ، رأى دلائل قدرة الله وان سمع ، سمع آيات الله وان نطق نطق بالثناء على الله ، وان تحرك تحرك فى خدمة الله ، وان اجتهد ، اجتهد فى طاعة الله فهنالك يكون فى غاية القرب فهو ولى لله واذا كان كذلك كان الله تعالى وليا له(٢) •

---

(١) تفسير الفخر الرازى مجلد٩ جـ ١٧ ص ١٣٢ . دار الفكر للطباعة والنشر طبعة أولى سنة ١٩٨١ •

(٢) شرح المقاصد جـ ٢ ص ١٤٩ •

علامات الولى :

للولى علامات أو سمات متعددة من أهمها :

١ — فى اعتقاده وصل الى حال اليقين ، وكأنه فى حالة مشـــاهدة دائمة لعظمة الله وجلاله ، فقد تجاوز مرتبة الاسلام والايمان ويعيش دوما فى مرتبة الاحسان •

٢ — فى سلوكياته لا هم له الا الله فاذا تكلم كان كلامه دعوة الى الله واذا صمت كان صمته تفكرا فى الله ، واذا أنصت كان انصاته لآيات الله وكلمـــاته ، حركته دائما من أجـــل الله ، وجهاده فى سبيـــل الله ، واجتهاده فى طاعة الله ، حبـــه لله ومن أجل الله ، خوفه لا يكون الا من الله وفراره لا يكون الا الى ذاته سبحانه •

٣ — فى عباداته تظهر قيم الانقيـــاد والطاعة والخشوع والخضوع والاخلاص والصدق فى أبهى صورها •

٤ — وفى أخلاقه وآدابه يتألق الاسلام الذى جاء به خاتم الأنبياء • فليس بولى من يخرج عن أى أدب من آداب الاســـلام ، أو أى خلق من أخلاقه مهما اشيع عنه [قصد أبو يزيد البسطامى بعض من وصف بالولاية ، فلما وافى مسجده قعد ينتظر خروجه ، فخرج رجل وتنخم فى المسجد ، فانصرف أبو يزيد ولم يسلم عليه ، وقال هذا رجل غير مأمون على أدب من آداب الشريعة ، فكيف يكون أمينا على أسرار الحق](١) •

٥ — ومن علاماته صـــدقه فى آداء حقوق الله وحياؤه منه سبحانه وترفقه وشفقتـــه بخلق الله وتحمله اساءاتهم ، ودعوته لهم وانصرافه عما يشغلهـــم ، وعمله الجاد من أجلهم كل همه أن يدفعهم للحب الالهى لأنه يحبهم •

---

(١) الرسالة جـ ٢ ص ٥٢١ .

٦ — ومن عـــلاماته انه ينظر الى نفســـه بعين الصغار ، ولا يغتر ولا يفارقه الخوف ان ظهرت على يده كرامة ، وهو يفر بكرامته بعيـــدا عن أعين النـــاس ، ويلح على من فاتحه بها أن يخفيهـــا ويستر أمره ويحفظ سره •

٧ — ويضيف أبو الحسن الشاذلى علامة أخرى من علامات الولى وهى الرضا والصـــبر على البلاء ، والفرار الى الله عنـــد الشدائد ، والرجوع اليه عند النوائب • فمن أعطى هذه الأربعة من خزائن الاعمال والمجاهدة فقد صحت ولايتـــه لله ولرسوله وللمؤمنين وتكون ولايته لله بالمجاهدة لقوله تعالى **(والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا)** العنكبوت / ٦٩ • وتكون الولاية للرسول بالمتابعة لقوله تعالى **(قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله)** آل عمران / ٣١ • كما تكون ولايته للمؤمنين بالاقتداء بهم والسير على نهجهم •

هل يجوز للولى أن يعلم بولايته ؟ :

يقول البعض لا يجوز ذلك ، لأنه بالمعرفة يزول عنه خوف العاقبة وهذا يوجب الأمن ، والأمن يوجب زوال العبـــودية ، فالعبد دائما بين الخوف والرجاء[١] يقول سبحانه **(انهم كانوا يســـارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا عابدين) الأنبياء / ٩٠ •**

يقول الامام القشـــيرى والى هذا يذهب كثير من شيوخنا الذين لقيناهم ومنهم الامام أبو بكر بن فورك[٢] •

لأنه بمعرفة أنه ولى لن يخاف المآل ، وسيدفعه هذا الى الاحساس بالأمن وهذا بدوره يصرفه عن الالتزام بالعبودية •

---

(١) التعرف لمذهب أهل التصوف ص ٩٠ •

(٢) الرسالة جـ ٢ ص ٥٢١ •

أما عدم المعرفة فتجعله يلاحظ نفســه بعين الصغار ، ويستشعر الخوف دائما ، ويخاف أن تكون عاقبته بخلاف ما عليه الحال .

وان ظهرت بعض الكرامات على يديه أحس بشدة الابتلاء وازداد خوفا لأنه لا يأمن مكر الله . يقول السرى السقطى (لو أن واحدا دخل بستانا فيــه أشجار كثيرة وعلى كل شجرة طير يقول له بلســان فصيح السلام عليك يا ولى الله فلو لم يخف أنه مكر لكان ممكورا) (١) .

ويقول البعض يجوز أن يعلم الولى بولايتــه ، ويعلم أنه مأمون العاقبة بأن يعلمه الله سبحانه وتعالى بكرامة من الكرامات يظهرها على يديه ، وهذا العلم مع أنه يزيل الخوف ويطمئن من نفسه لمعرفته بما له فى الآخــرة الا أنه يدفعه لزيادة الشكر والتعظيم والهيبــة والاجلال لصاحب الجلال عز وجل .

ومن القائلين بالجواز أبى على الدقاق والامام القشيرى . ولعلنا نميل الى هذا الرأى ودافعنا لذلك أن العبــودية للخالق سبحانه ليس سببها الخوف فقط وانما الحب والتقديس لمن يستحق الحب والتقديس .

وقد استدل أصحاب هذا الرأى الاخير لرأيهم بقول الرسول صلى الله عليه وسلم (عشرة فى الجنة من أصحابى) وقد علم العشرة بأنفسهم وصدقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعرفوا ســلامة عقباهم ولم يقدح ذلك فى حالهم(٢) ، فمــع احســاسهم بالأمن وزوال خوفهم من النار ، لمعرفتهم باذن الله أنهم سيدخلون الجنة ، لم ينصرفوا عن العبودية الكاملة للخالق سبحــانه ، بل ازدادوا خشوعا وهيبــة وتعظيما لله ، وحياة أبى بكر الصــديق وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم خير شاهد

---

(١) الرسالة ج ٢ ص ٦٦٥ .
(٢) الرسالة ج ٢ ص ٥٢٢ .

على ذلك • ومع علم العشرة المبشرين(١) ، بأنهم لن يدخلوا النار ، لأن المعصوم صلى الله عليه وسلم هو الذى أخبـرهم بذلك وقوله صدق ، وقد أوجب ذلك أمنهم ، وزوال خوفهم من أى تغيير لحالهم • ومع هذا فقد نقل الرواة قول أبى بكر الصديق رضى الله عنه [وددت أنى خضرة تأكلنى الدواب](٢) وقول عمر الفاروق رضى الله عنه [يا ليتنى كنت هذه النبتة ليتنى لم أك شيئا ليت أمى لم تلدنى](٣) • وقول أبى عبيدة ابن الجراح رضى الله عنه [وددت أنى كبش فيذبحنى أهلى ويأكلون لحمى ويحسون مرقى](٤) •

يقول عمـر بن الخطاب [نعم المرء صهيب لو لم يخـف الله لم يعصـه] •

أى أن صهيبـا لم يترك المعصية خوفا من عقـوبة الله تعالى له ، وانما تركها اجلالا وتعظيما له سبحانه وحياء منه •

وهذا يذكرنا بمذهب رابعـة العدوية فى الحب الالهى فهى لا تحب الله خوفا من ناره ولا طمعا فى جنته وانما تحبه لذاته •

يناجى الصوفى على بن الموفق ربه معبرا عن حبه لذات الله سبحانه وتعالى ، ومؤكدا مذهب رابعة العدوية حيث يقول [اللهم ان كنت تعلم أنى أعبدك خوفا من نارك فعذبنى بها ، وان كنت تعلم أنى أعبدك حبا

---

(١) وهم ابو بكر وعمـر وعثمان وعلى وطلحه والزبير وسعـد بن ابى وقاص وعبدالرحمن بن عوف وسعيد بن زيد وابو عبيدة بن الجراح رضى الله عنهم . السيرة الحلبية جـ ٣ ص ٤٢٦ •

(٢) تاريخ الخلفاء للسيـوطى ص ١٠٤ تحقيق محـمد محى الدين عبد الحميد •

(٣) المرجع السابق ص ١٢٩ •

(٤) التعرف ص ٩١ •

منى لجنتك فاحرمنيها ، وان كنت تعلم أنى انما أعبدك حبا منى لك ، وشوقا الى وجهك الكريم فأبحنيه وافعل بى ما شئت](١) •

ونخلص من هذا أن الولى اذا عرف أنه مأمون العاقبة ، لم يزدد الا قربا من خالقه وحبا لذاته سبحانه •

ويأتى سؤال هل كل ولى يجب أن يعلمه الله سبحانه أنه ولى ؟ •
وللاجابة نقول ان الأمر لا يدخل فى دائرة الوجوب ، لأن الله سبحانه وتعالى لا يجب عليه شىء •

وانما يجوز أن يعلم الله سبحانه وتعالى بعض الأوليـاء بولايتهم ، باظهار بعض الكرامات على أيديهـم ، تشعرهم بقربهم من الله ، وبأن عاقبتهم الجنة •

ولا يعنى هذا أن كل كرامة تحمل هذا المعنى ، أو أن كلولى لابد أن تكون له كرامات ، اذ قـد يخلو الولى تماما من الكرامات ، ويظهر الأمر الخارق على يد شخص طيب القلب ، وآن ذاك يسمى هـذا الأمر معونة •

فالأولياء من باب الجواز فقط يمكن أن يعرفوا بولايتهم [مما يحدث الله فيهم من اللطائف التى يخص بها أولياءه ، وبما يورد على أسرارهم من الأحوال التى هى اعلام ولايتـه ، من اختصاصه لهم به ، وجـذبه لهم مما سواه اليه ، وزوال العوارض عن أسرارهم ، والصوارف عنه الى غيره ، ووقوع المشاهدات والمكاشفات التى لايجوز أن يفعلها الله تعالى الا بأهل خاصته](٢) •

---

(١) الحياة الروحية فى الاسلام ص ١٣٢ د. محمد مصطفى حلمى .
(٢) التعرف ص ٩٥ .

فى البدء نحب أن نذكر بأن الخوارق أربعة :

(ا) المعجزة .　　　(ب) الكرامة .

(ج) المعونة .　　　(د) الاهانة .

أما السحر والتنويم المغناطيسى وغرائب الطبيعة ، فهذه أمور ليست بخارقة لما تعوده الناس عبر الأزمنة المختلفة .

لأن السحر من الأمور التى تأتى بالتعليم ، وكلما أجاد المتعلم فنه ، كلما كان أقدر على منافسة الغير فى نفس هذا الفن ، وواقع الحياة يؤكد ما نقول .

لقد تنافس السحرة فى كل الأزمنة وكلما جاء ساحر بحيلة أبطلها من عاصره أو جاء بعده وهكذا توالت الأزمنة ومع كل زمن كان السحرة .

وفى عصر فرعون مصر كثر السحرة ، واشتد التنافس فيما بينهم ، وفى هذا العصر بعث موسى عليه السلام ، وحينما طلب من الفرعون أن يعبد الله خالق السموات والأرض ، وأظهر الدليل على أنه رسول من عند الله بالقاء عصاه فاذا هى ثعبان وباخراج يده فاذا هى بيضاء ناصعة البياض .

حسب الفرعون أن ما جاء به موسى من سحر السحرة ، ولم يؤمن أنه أمر خارق من عند الله سبحانه لايقدر على معارضته أحد .

ولذا جمع السحرة فى ميدان عام فى مواجهة موسى عليه السلام

و [**قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون**] الشعراء/٤٣ ، وبكل الغرور والثقة أقسم السحرة بعزة فرعون قائلين [**انا لنحن الغالبون**] الشعراء/ ٤٤ ، وفاتهم أن ما يأتى به موسى عليه السلام لا يأتى بالتعليم والتعلم ، وليس من عند نفسه وانما هو من عند الله سبحانه وتعالى .

يسجل القرآن الكريم بقية المشهد الرائع [**فالقى موسى عصاه فاذا هى تلقف ما يأفكون . فالقى السحرة ساجدين . قالوا آمنا برب العالمين . رب موسى وهارون**] **الشعراء ٤٥ — ٤٨ .**

وأيضا فان التنويم المغناطيسى علم من العلوم العصرية يتعلمه من أراد ، له أسسه وأساليبه المختلفة ومدارسه المتعددة .

والطبيعة مليئة بالأسرار ، وهى تكشف عنها للعلماء الذين لا هم لهم الا البحث الجاد والتنقيب المستمر .

وكل المستحدثات فى قرننا العشرين كانت أسرارا فى يوم من الأيام ، ثم خرجت كغرائب ، ثم بقيت كأدلة على وجود الخالق وعظمته لمن أراد أن يتذكر .

وعن الخوارق فانها أمور الهية لا دخل للانسان فيها مهما بلغت مرتبته عند الله ، ولا تأتى أبدا بالتعلم .

ومن تعريف كل خارق على حدة تتضح الفروق بينها .

(ا) المعجزة :

أمر خارق للعادة ، يظهره الله سبحانه وتعالى على يد مدعى النبوة ، فى دار التكليف ، تصديقا له فى دعواه ، مع الأمر بالتحدى ، وعدم القدرة على المعارضة .

والمعجـزة تكون قولا كالقرآن الكريم ، أو فعـلا كتحول عصا موسى باذن الله حية تسعى ، وكابراء الأكمه والأبرص واحياء الموتى على يد عيسى باذن الله ، وكنبع الماء من بين أصابع رسولنا صلى الله عليه وسلم ، واشباع الخلق الكثير من الطعام القليل •

وتكون أيضا تركا كعدم احراق النار لسيدنا ابراهيم حينما وضعه الأعداء فيها •

ولا تظهـر الا على يد نبى وهو دائما صـادق ، والمعجزة بمثابة التصديق الالهى له ، حتى يصدقه الناس ، وتكون فى الغالب عقب دعوى الرسالة ويؤمر النبى بتحـدى الناس حتى يظهر عجزهم وعدم قدرتهم على المعارضة •

(ب) الكرامة والفرق بينها وبين المعجزة :

أمر خارق للعادة ، غير مقرون بدعوى النبوة ، يظهره الله سبحانه وتعـالى على يد ولى من أوليائه ، تكريما له ، واظهارا لمنزلتـه عنده سبحانه •

وبمقارنتها بالمعجزة نجد أنها تفترق عنها بأمور :

١ — ليس فيها دعوى النبوة ولا تقترن بأية دعوى •

٢ — لا يطلب من الولى اظهارها ، ولو أظهرها على سبيل التفاخر، أو علو القدر لا يؤمن على دينه •

٣ — تخلو تماما من الأمر بالتحدى •

٤ — الكرامة تظهر على يدى الولى دون علمـه ، وان علمها حاول اخفـاءها ، وخاف من الفتنة لأنه غير معصوم ، ولا تصـل الى درجة

الايجاد من العدم ، بل تكون فى صورة تقوية على أمر — فعل أو قول — يتعذر على الغير القيام به ، أو فى صورة اجابة دعوة الخ •

أما المعجزة فان النبى يعلمها حال ظهورها ، بل ربما علمها قبل ظهورها ، لأنه مطالب بالتحدى بها ، وهو معصوم مأمون العاقبة •

وتكون فى صورة احياء الموتى ، وانطاق الجماد ، والتنبؤ بالغيب ، والاخبار عن الماضى السحيق الخ •

يقول الكلاباذى [ان كرامات الأولياء تجرى عليهم من حيث لا يعلمون • والأنبياء تكون لهم المعجزات وهم بها عالمون ••• لأن الأولياء قد يخشى عليهم الفتنة مع عدم العصمة ، والأنبياء لا يخشى عليهم لأنهم معصومون ••• وكرامة الولى باجابة دعوة وتمام حال ، وقوة على فعل ، وكفاية مؤنه ••• ومعجزات الأنبياء اخراج الشىء من العدم الى الوجود](١) •

٥ — صاحب المعجزة آمن على نفسه ، لأنه معصوم • وأما صاحب الكرامة فليس كذلك أذ يخشى على نفسه من التبديل والتحويل •

٦ — وصاحب المعجزة يشرع بأمر الله تعالى • أما صاحب الكرامة فليس له أن يتحرك الا فى اطار ما شرع له •

يقول الهجويرى أن [صاحب المعجزة له سلطان على الشرع وله أن ينفى أو يثبت ما شاء بأمر الله تعالى • أما صاحب الكرامة فلا يختار لنفسه شيئا الا ما قدره الله تعالى](٢) •

---

(١) التعرف ص ٩٠ .
(٢) كشف المحجوب ص ٢٦٥ .

(جـ) المعـونة :

هى أمر خارق للعـادة يظهره الله سبحانه وتعالى على يد عبـد كاستجابة دعوة أو تخليص له من محنـة [هى ما يظهر من قبل العوام تخليصا لهم عن المحن والبلايا](١) •

(د) الاهانة :

أمر خارق للعادة يظهره الله سبحانه على يد دعى للنبوة أو الالهية — وهذا الدعى دائما كذاب — تكذيبا له وتسفيها لموقفه •

كأن يقـول الدعى معجزتى نطق اصبعى أو نطق هـذا الجماد ، فينطق فعلا ويقول انه كذاب حقير لا تصدقوه •.

أو يقول معجزتى أن يأتى الآن أسد ويفترس تلك الشاة ، فيأتى أسد فعلا ويفترسه هو •

بعد أن عرفنا بايجاز الخوارق الأربعة ، وعرفنا الفرق بين الكرامة والمعجزة فما هو موقف العلماء من كرامات الأولياء ؟ •

نقول باختصار هناك اتجاهان : اتجاه يثبت واتجاه آخر ينفى •

---

(١) التعريفات ص ٢١٩ للجرجانى •

أولا : المثبتون وأدلتهم العقليـــة والنقلية

(أ) يذهب أهل السنة من أشــاعرة وماتريدية وحنابلة الى القول بأن ظهور الكرامات على يد الأوليــاء من الأمور الممكنة عقلا . وكل ممكن فهو واقع تحت قــدرته سبحانه وتعالى ، ولا يترتب على حــدوثها أى مستحيل ، أو اسقاط أى أصل من أصول العقائد .

يقول القشيرى [ظهور الكرامات على الأولياء جائز . والدليل على جوازه أنه أمر موهوم حدوثه فى العقل ، لا يؤدى حصوله الى رفع أصل من الأصول ، فواجب وصفه سبحانه بالقدرة على ايجاده ، واذا وجب كونه مقدورا لله سبحانه فلا شىء يمنع جواز حصوله](1) .

(ب) ان العبد ولى لله عز وجل حيث يقول تعالى **[ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون]** .

وان الرب سبحانه وتعالى ولى للعبد حيث يقول عز وجل **[الله ولى الذين آمنوا]** .

واذا ثبت هذا فاننا نقول اذا بلغ العبد فى الطاعة الدرجة العالية بحيث التزم بكل ما يأمر به الله وابتعد عن كل ما ينهى عنه واتقاه عز وجل فى كل ما يصــدر عنه من قول أو فعل ، فليس بمستبعد أن يتــولاه الله بالحفظ والرعاية ويخصه بأمور خارقة تكريما له واظهارا لصــدق ايمانه وبيانا للناس بأن الله يحبه ويقربه منه](2) .

(جـ) لو امتنع اظهار الكرامة لكان ذلك اما لأن الله عز وجل لا يقدر

---

(1) الرسالة جـ ٢ ص ٦٦٠ .

(2) جامع كرامات الأولياء جـ ١ ص ١٨ يوسف بن اسماعيل النبهانى .

على ذلك ، أو يقدر الا أنه لا يعطى المؤمن الكرامة لأنه ليس أهلا لهذه العطيــة •

والقول الأول باطل لأنه قــدح فى قدرة الله عز وجل ، والمؤمنــون مجمعون على اتصــافه عز وجل بكل كمــال ومن الكمالات القــدرة الشــاملة •

والقول الثانى باطل ، لأن الله الكريم يعطى المؤمن الكثير من العطايا ومن هذه العطايا تعريفه بذاته عز وجل وتوحيده والايمان بقدره ومحبته وطاعته [فلما أعطى المؤمن المعرفة والمحبة والذكر والشكر من غير سؤال ، فلأن يعطيه رغيفا فى مفازة أولى فأى بعد فيه](١) •

(د) اننا نشاهد فى واقع الحياة المقرب من الملوك يأذنون له فى الدخول عليهــم ويخصونه بالرعاية ، ويقدرونه على ما لايقــدر عليه الآخرون هذا فى الشاهد •

فما المانع عقلا فى حدوث هذا بل أكثر من هذا فى الغائب عن عيوننا الملك الحق رب العــالمين ، فله أن يشرف عبــده بأن يوصله الى عتبات خدمتــه ويوقفه على أسرار معرفتــه ويظهر بعض الكرامات على يديه](٢) •

ومما يؤكد أن ظهور الكرامات على يدى الأولياء من الأمور الممكنة قول الصوفى الكبير سهل بن عبد الله التسترى [من زهد فى الدنيا أربعين يوما صادقا من قلبه مخلصا فى ذلك ظهرت له الكرامات ومن لم تظهر له فلعدم الصدق فى زهده](٣) •

---

(١) المرجع نفسه ص ١٩ •
(٢) المرجع نفسه ص ٢٠ •
(٣) الرسالة جـ ٢ ص ٦٧٣ •

فالتجربة هى المحك الأساسى لقول التسترى ، لقــد رأى الزهاد الصادقين فى زهدهم تظهر على أيديهم الكرامات ، ولذا قال ما قال .

ولقد وقع شىء من الشك فى جواز وقوع الكرامة فى نفس الصوفى أبى الحسين النــورى ، فأخذ قصبة من الصبيان — أى عودا مما يصاد به السمك — ووقف بين زورقين ، ثم قال بعد أن وضع القصبة فى الماء [وعزتك ان لم تخرج لى سمكة فيها ثلاثة أرطال لأغرقن نفسى] .

ولقــربه من المولى عز وجل ، وثقته فيــه ، وحب الله له ، أجاب سبحانه وتعالى طلبــه . يقول النورى [فخرج لى ســمكة فيها ثلاثة أرطال] فالعبد الصالح حينما يخلص فى عبادته ، ويثق فى ربه ويطمع فى رحمته ويســأله العون يستجيب الله سبحانه وتعالى له فهو القــائل **[واذا سألك عبــادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان]** البقرة — ١٨٦ — ولقد طلب النورى ووثق فى اجابة من يطلب منه لطلبه فأجاب له طلبه .

وحينما علم الجنيد بما حدث قال [كان جزاؤه أن تخرج له أفعى تلدغه](١) . وكأنه بهذا القول يستنكر ما وقع فى نفس النورى من شك فى الكرامات فى البداية .

أدلة من النقــل تدل على الوقوع

أما من ناحية الوقوع فى دنيا الناس من بعض أفرادهم ، ورؤية البعض الآخر لهذه الكرامات ، فقد حدثت كرامات عديدة ، ذكر بعضها القرآن الكريم والسنة المطهرة ، وذكر البعض الآخر فى كتب الصوفية .

---

(١) الرسالة جـ ٢ ص ٦٧٦ .

ولا أستطيع فى هــذه العجالة أن أذكرها كلها ، وانما أكتفى بذكر بعضها بايجاز شديد •

من هذا البعض :

١ — قصة مريم العذراء الطاهرة ، فلم تكن من الأنبياء ولا من الرسل، ومع ذلك فقد رأى زكريا عليه السلام عندها فى وقت واحد فاكهة الصيف والشتــاء على غير ما هو معروف للقوم فى زمانهم يقول سبحانه وتعالى فى محكم كتابه [**كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عنــدها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عنــد الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب**] **آل عمران / ٣٧** •

لقد تعجب من وجود فاكهة الصيف والشتاء وخيرات كثيرة عندها فى وقت واحــد ، دون أن يكون فى قدرتها أن تأتى بهــا هى ، أو يأتيها أحد بها • مما دفعه لسؤالها فى دهشة ، ولقد سكت عليه الســلام حينما قالت هو من عند الله ، فقد علم أن ما يحدث لها انما هو كرامة

وهنــا لجأ الى الله سبحانه وتعالى بالدعاء قائلا [**رب هب لى من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء**] **آل عمران / ٣٨** •

وقوله سبحانه وتعالى [**وهزى اليك بجزع النخلة تساقط عليــك رطبا جنيا فكلى واشربى وقرى عينا**] مريم ٢٥/٢٦ ، يظهر كرامة أخرى للسيدة مريم أم عيسى عليه السلام •

٢ — وقصة الخضر مع موسى عليه الســلام حيث خرق السفينة ، وقتــل الغلام وأقام الجدار ، وموسى فى دهشــة يسأله كل مرة عن هذه الأمور العجيبة التى يفعلها ، وهو يطالبــه بالصبر ، ثم يخبره فى النهاية بما غاب تماما عن علمه رغم أنه نبى ورسول وكليم الله •

ولم يكن الخضر نبيا ولا رسولا تقول الآيات الكريمات موضحة اجابة الخضر عما يسأله عنه موسى [**أما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر فأردت أن أعيبهــا وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا ٠ وأما الغــلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهمــا طغيانا وكفرا ٠ فأردنا أن يبدلهمــا ربهما خيرا منه زكاة وأقــرب رحما ٠ وأما الجــدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن أمرى ذلك تأويل ما لم تسطع عليــه صبرا**] الكهف ٧٩/٨٢ وراجع أول القصة الآيات ٦٥/٧٨ نفس السورة ٠

٣ ــ ومن الــكرامات أيضا قصة آصف بن برخيا الذى عنــده علم من الكتاب ، والذى قال لسليمان عليه الســلام [**أنا آتيك به قبــل أن يرتد اليــك طرفك**] وذلك حينما قال سليمان من يأتينى بعــرش بلقيس ملكة سبأ ؟ ٠

والآيات من ســورة النمل ٣٨/٤٠ تحكى ذلك يقول سبحانه وتعالى [**قال يا أيها الملأ أيكم يأتينى بعرشها قبــل أن يأتونى مسلمين ٠ قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبــل أن تقوم من مقامك وانى عليه لقوى أمين ٠ قال الذى عنــده علم من الكتاب أنا آتيك به قبــل أن يرتد اليك طرفك فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر ومن شكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان ربى غنى كريم**] ٠

٤ ــ ولقد رأى عمر بن الخطاب رضى الله وهو على المنبر يوم الجمعة بالمدينة جيشه بنهاوند فى بلاد فارس على مســافة كبيرة ، ونادى بأعلى صوته قائد جيشه قائلا يا سارية الجبــل ــ أى الزم الجبل بجيشك أو احذر العدو المستتر خلف الجبل ــ وسمع سارية صــوت أمير المؤمنين

عمر بن الخطاب ونفذ أمره وكان ذلك من أسباب الانتصار(١) .

ولم تكن الأجهزة الحديثة مثل الهاتف أو اللاسلكى أو التلغراف أو غيرها قــد استحدثت فكيف عرف ابن الخطاب بموقف جيشــه ؟ ومن أعلمه به ؟ ولماذا نادى قائد جيشه ؟ وكيف سمعه هذا القائد ؟ ان الاجابة تتلخص فى وجود الكرامة لأولياء الله .

وفى عام الرمادة الذى تحولت فيــه الأرض الى رماد من الجفاف الشديد الذى أصابهــا بسبب عدم سقوط الأمطار لفترة طويلة ، وهلك الزرع والضرع ، وتهــدد الموت الناس فى كل مــكان بسبب القحط الشــديد .

فى هذا العــام خرج خليفة المسلمين عمر بن الخطاب بالعبــاس بن عبد المطلب رضى الله عنه عم الرسول عليه السلام ، وراح يدعو رب السماء ، متقربا اليــه بعم نبيــه أن ينزل المطر ويقى البــلاد شر الجفاف .

وراح العباس يقول [اللهم أغثهم بغياثك قبل أن يقنطوا فيهلكوا ... فقد تقرب الى القوم لمكانى من نبيك عليه الســلام] فسقط المطر بغزارة وروى الأرض ، وشرب كل حى عليها ، وأحيا الله البلاد والعباد بالاستجابة لدعاء العباس رضى الله عنه (٢) .

٥ — ولقد حملق رجل بشهوة فى وجه امرأة تسير فى الطريق ، ثم دخل هذا الرجل على عثمان رضى الله عنه ، فقال له عثمان : يدخل أحدكم وفى عينيــه أثر الزنا ، فدهش الرجل من قول عثمان ومعرفتــه بما حــدث(٣) .

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى جـ ٢ ص ٦٥ تقى الدين السبكى .
(٢) نفس المرجع جـ ٢ ص ٦٩ — ٧٠ .
(٣) نفســه ص ٦٧ .

٦ — واعترض سبع طريق الناس فمنعهم من المرور فيه ، وحينما لقيهم عبد الله بن عمر ووجدهم فى حالة خوف طرد السبع من طريقهم ثم قال : انما يسلط على ابن آدم من يخافه ، ولو أن ابن آدم لم يخف شيئا غير الله تعالى لم يسلط الله عليه شيئا يخافه غيره(١) .

وقد روى أن أسيد بن حضير وعتاب بن بشير خرجا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ليلة مظلمة فأضاء لهما رأس عصا أحدهما كالسراج .

وروى أيضا أن أبا الدرداء وسلمان الفارسى رضى الله عنهما كان بينهما قصعة فسبحت حتى سمعا تسبيحها (٢) .

ولقد بعث صلى الله عليه وسلم العلاء بن الحضرمى فى غزوة على رأس جيش ، فحال بينهم وبين الموضع قطعة من البحر ، فدعا الله باسمه الأعظم ومشوا على الماء(٣) .

٧ — ولقد كان أبو تراب النخشبى يسير فى طريق مكة ومعه أصحابه فقال له بعضهم أنا عطشان . فضرب برجله الأرض فاذا عين من ماء زلال . فقال الفتى أحب أن أشربه فى قدح . فضرب النخشبى بيده الأرض ثم ناوله قدحا من زجاج أبيض . فشرب الفتى وشرب الجميع(٤) .

ويقول سعيد بن يحيى البصرى : كان أناس من قريش يجلسون الى عبد الواحد بن زيد ، وقالوا له يوما : انا نخاف من الضيق والحاجة

---

(١) اللمع ص ٣٩٧ .
(٢) نفس المرجع والمكان .
(٣) الرسالة ج ٢ ص ٦٧٢ وراجع حلية الأولياء ج ١ ص ٧—٨ .
(٤) الرسالة ج ٢ ص ٦٩٦ .

فرفع عبـــد الواحد رأسه الى السماء وقال اللهم انى أســـألك باسمك المرتفع الذى تكرم به من شئت من أوليائك ••• أن تأتينا برزق من لدنك تقطع به علائق الشيطان من قلوبنا وقلوب أصحابنا فأنت الحنان المنان القديم الاحسان ، اللهم الساعة • الساعة •

يقول سعيـــد بن يحيى فسمعت والله قعقعة للسقف ثم تنـــاثرت علينا دنانير ودراهم(١) •

وتكلم سهل بن عبـــد الله يوما فى الذكر فقـــال : ان الذاكر لله على الحقيقة لو هم أن يحيى الموتى لفعـــل • ومسح يده على عليل بين يديه فبرىء وقام(٢) •

ما ذكرناه مجرد أمثلة تؤكد وجود الكرامات ومن أراد المزيد فليراجع كتب التفسير والحديث والتوحيد والسيرة والتصوف وغير ذلك •

---

(١) الرسالة جـ ٢ ص ٦٩٧ .
(٢) الرسالة جـ ٢ ص ٧٠٠ •

ثانيا : النـــافون وشبههم والرد عليهم

أما النـــافون فهم أكثر المعتزلة وأبو اسحاق الاسفراييني والحليمي من أهل السنة وابن حزم الظاهري •

وهؤلاء جميعـــا قالوا ان ظهور الكرامات على الأوليـــاء من الأمور المستحيلة ولهم في ذلك شبه •

(ا) ان وقوع الكرامات للأولياء يؤدى الى التباسها بالمعجزة ، وهذا الالتباس يؤدى بدوره الى انسداد باب اثبات النبوة ، لأنها لا تثبت الا بالمعجزة •

ويرد على هـــذه الشبهة أن النبى مصطفى من الله تعـــالى ، ومميز بما فيه من كمال خلقى وكمال خلقى ، وأنه معصوم ثم وجود البشارات التى تبشر بمجيئه فى الكتب السماوية السابقة عليه ، وكل هذه الأمور دلائل لنبوته •

وأيضا فان الكرامة للولى لاتكون مقرونة بدعوى النبوة ، ولايطلب منه على سبيل الجزم اظهارها ، ولا يقصد بالتحدى بها •

يقول أبو المعين النسفى ردا على هذه الشبهة [وكيف يؤدى ذلك الى التباس الكرامة بالمعجزة ، والمعجزة تظهر على أثر دعوى الرسالة ، ولو ادعى الولى الرسالة لكفر من ساعته وصار عدوا لله ••• وكذا صاحب المعجزة لا يكتم معجزته بل يظهرها ، وصاحب الكرامة يجتهد فى كتمانها ، ولا يركن فى الأغلب اليهـــا ويخاف انها من قبيل الاستـــدراج ••• وكذا صـــاحب المعجزة مأمون العاقبة معصوم عن التبـــديل ، والولى بخـــلافه][1] •

---

(1) تبصرة الأدلة ص ٥٨٨ تحقيق د. محمد الأنور •

ويذكر الطوسى فروقا أخرى حيث يقول : ان الأنبياء مستعبدون باظهار ذلك للخلق ••• فمتى ماكتموا فقد خالفوا • والأولياء مستعبدون بكتمان ذلك عن الخلق ، واذا أظهـروا من ذلك شيئا لاتخاذ الجاه فقـد خالفوا وعصوا •

وأيضا فان الأنبياء يحتجون بمعجزاتهم على المشركين — لأن قلوبهم قاسية لا يؤمنون الا بما هو ملموس مشاهد — ••

والأوليـــاء يحتجون بذلك على نفوسهـــم حتى تطمئن وتوقن ولا تضطرب ••

وكذلك فان الأنبياء كلما زيدت معجزاتهم وكثرت تكون الزيادة أثبت لقلوبهم وبيان عظم فضلهم •

أما الأوليـــاء فكلما زادت كراماتهم ازداد وجلهم وخوفهم من أن يكون ذلك من باب الاستدراج والاختبار(١) •

(ب) ان مشاركة الأولياء للأنبياء فى ظهور الخوارق على أيديهم تخل هذه المشاركة من عظم قدر الأنبياء عند الناس ، وتضعف من وقع الدعوة على نفوسهم •

ويرد على هـــذه الشـــبهة بأه عظم قـــدر الأنبياء انما كان لأنهم مصطفون من الله ، ومعدون اعدادا خاصة لتحمل كلمة السماء ، ومأمورون بالتبليـــغ ، ومؤيدون بالخوارق مع الأمر بالتحدى وعدم القـــدرة على المعارضة •

وعلى العكس فان المشـــاركة تزيد من قدرهم ، لأن ظهور الخارق

---

(١) اللمع ص ٣٩٣ •

على يد أتباعهم دليل على صدق دعوى الرسول ، ويزيد هذا فى جلالة قدره ، والرغبة فى اتباعه حيث نال بعض الأولياء الدرجة العليا ببركة الاقتداء بالرسول واتباع شريعته والسير فى طريقه[١] •

(جـ) ويقولون ان الأمور الخارقة لو ظهرت على يد كل ولى لكثرت كثرة الأوليــاء وهذا يخرجها عن كونهــا خارقة ويجعلهــا من الأمور المعتادة •

ويرد على هذه الشبهة • أن الأمر الخارق لا يظهر على يد كل ولى وانما على البعض دون البعض •

ومع التسليــم باستمرار ظهور الخوارق على الأوليــاء فان كثرة الخــوارق لا تخرجها عن كونهــا أمورا خارقة ، فان تعــددها وتنوعها والملابسات التى تظهر فيها ، ووقوعها باذن الله وقدرته ، كل هذه الأمور تجعلها خارج دائرة الأمور المعتادة •

(د) ويقــولون ان ظهور الأمر الخارق على يد النبى لفــائدة، تصديقه ، والتفريق بينه وبين دعى النبوة الكذاب •

أما ظهوره على يد الولى فلا فائدة من وراءه وهذا عبث والعبث على الله محال •

ويرد على هذا الــكلام بأن عدم معرفة الحكمة لا يترتب عليــه ان ظهور الخارق على يد الولى من العبث ، وذلك لأننا نرى أمورا كثيرة ولم نتعرف على الحكمة من وجودها •

وقد ثبتت الكرامات بالنص ، وأيد ذلك العقل والوقوع الفعلى •

ومع ذلك فانا نقــول ان ظهور الأمر الخارق على يد الولى غالبــا

---

(١) شرح المقاصد جـ ٢ ص ١٥١ سعد الدين التفتازانى •

ما يكون لبيان كرامته عند الله ، وهذا بدوره يدفع الولى للاقتراب أكثر من خالقه سبحانه وتعالى •

وربما يكون ظهـور الخارق على يد الولى لبيـان أن الرسالة التى يتبعها حق ، وهذا يدعو من يطلعه الله على هـذه الكرامة أن يتمسك بما عليه الولى من الدين الحق •

(هـ) أن تجويز الكرامات يوصل الى السفسطة ، لأنه يؤدى الى جواز انقلاب الجبل ذهبا والبحر عسلا •

ويرد على هذا الكلام بأن الكرامة لا يصل شأنها الى هذا الحد ، ومع تجويز وصولها الى هذا الحد [ولكن لا يقتضى ذلك سفسطة ، لأن ما ذكرتم بعينه وارد عليكم فى زمان النبـوة ، فانه يجوز ظهور المعجزة بذلك ولا يؤدى الى سفسطة](١) •

(و) لو ظهرت كـرامة لولى لجاز الحكم له فى أى دعوى يدعيها دون أن يكون عنده أى بينة لقربه من الله وامتناع كذبه ، وهذا يتنافى مع قول الرسـول صلى الله عليه وسلم [البينة على من ادعى واليمين على من أنكر] •

ويرد على هذا بأن الأدلة تتضافر مؤكدة أنه لا عصمة الا للأنبياء، فهم وحدهم الذين يحفظ الله ظاهرهم وباطنهم من التلبس بمنهى عنه ، أو الانصراف عن مأمور به •

وما عداهم يجوز فى حقه كل شىء •

وعلى هذا فظهور الكرامة على يد الولى لاتوجب عصمته ، وتصديقه فى كل شىء لا يتم الا بالدليل(٢) •

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى جـ ٢ ص ٦١ •
(٢) نفس المرجع والمكان •

(ز) لو كانت السكرامات جائزة لكان أولى النـاس بظهورها على أيديهم هم الصحابة رضوان الله عليهم لأنهم شرفوا بصحبة الرسول وهم من خير القرون بناء على قوله صلى الله عيـه وسلم [خير القرون قرنى] ولما لم يثبت ظهورها على أيديهم دل هذا على استحالتها .

ويرد عليهم بأن هـذا الكلام يرده واقع الصحابة ، ولا يحتـاج البـاحث لجهد كبير اذا أراد أن يتأكد من وفرة الكرامات التى ظهرت على أيديهم وقد ذكرنا بعضها .

يقول السبكى معلقا على قولهم فى هذه الشبهة إنه [قول مرذول فلو حاول مستقصى استقصاء كرامات الصحابة لأجهد نفسـه ولم يصل الى عشر العشر[1] .

أقسـام الكرامات :

تنقسـم الكرامات الى قسمين : كرامات حسـية ، وكرامات معنوية .

فالحسية مثل المشى على الماء ، والطيران فى الهواء بلا أى معين ، والاحتجاب عن الأبصـار فى الحقيقة ، واجابة بعض الأمور المتعذرة ، واستجابة الدعاء [واظهار طعام فى أوان فاقة من غـير سبب ظاهر ، أو حصـول ماء فى زمان عطش ، أو تسهيل قطع مسافة فى مدة قريبة ، أو سـماع خطاب من هاتف ـ خفى غير مرئى ـ أو غـير ذلك من فنون الأفعال الناقضة للعادة][2] .

---

(١) نفس المرجع ص ٦٤ .
(٢) الرسالة جـ ٢ ص ٦٦٤ .

والعامة من الناس لا يعرفون الا هذه الكرامات .

أما المعنوية فلا يعرفها الا الخواص من عباد الله وتكون باستقامة العبد فى كل أموره فى الظاهر والباطن مع الله سبحانه وتعالى ، كما تكون بحفظ الله لعبده من الشيطان المغوى ، واقداره على الانتصار على هواه ونفسه الأمارة ، وتكون أيضا بكشف الحجب عنه بحيث يرى ما لا يراه غيره ويسمع ما لا يسمعه غيره .

والمعتبر عند الأولياء من الكرامات ، الكرامات المعنوية ، أما الحسية فلا يحفلون بها كثيرا ، لاحتمال أن تكون ابتلاء واختبارا ومكرا .

ولذا فان من تظهر على يديه من الأولياء بعض الكرامات الحسية يزداد خوفا ويؤثر الصمت والترقب .

وأذكر فى اعجاب وسعادة نصا طويلا للامام محيى الدين بن عربى يتضح من خلاله ما أشرنا اليه بايجاز يقول [اعلم أيدك الله أن الكرامة من الحق من اسمه البر ، ولاتكون الا للأبرار من عباده جزاء وفاقا... وهى على قسمين حسية ومعنوية . فالعامة ما تعرف الكرامة الا الحسية مثل الكلام على الخاطر ، والاخبار بالمغيبات الماضية والكائنة والآتية ، والأخذ من الكون ، والمشى على الماء واختراق الهواء ، وطى الأرض والاحتجاب عن الأبصار واجابة الدعاء فى الحال ... وأما الكرامة المعنوية فلا يعرفها الا الخواص من عباد الله ... وهى أن تحفظ عليه آداب الشريعة ، وأن يوفق لاتيان مكارم الأخلاق ، واجتناب سفسافها ، والمحافظة على أداء الواجبات مطلقا فى أوقاتها ، والمسارعة الى الخيرات، وازالة الغل والحقد من صدره للناس والحسد وسوء الظن وطهارة القلب من كل صفة مذمومة ، وتحليته بالمراقبة مع الأنفاس ومراعاة حقوق الله فى نفسه وفى الأشياء وتفقد آثار ربه فى قلبه ... فهذه كلها عندنا كرامات الأولياء المعنوية التى لا يدخلها مكر ولا استدراج بل هى دليل

على الوفاء بالعهود وصحة القصد والرضا بالقضاء فى عدم المطلوب ووجود المكروه ، ولا يشاركك فى هذه الكرامات الا الملائكة المقربون وأهل الله المصطفون الأخيار • وأما الكرامات التى ذكرنا أن العامة تعرفها فكلها يمكن أن يدخلها المكر الخفى ••• سئل أبو يزيد عن طى الأرض فقال ليس بشىء فان ابليس يقطع من المشرق الى المغرب فى لحظة واحدة وما هو عند الله بمكان

وسئل عن اختراق الهواء فقال ان الطير يخترق الهواء والمؤمن عند الله أفضل من الطير ، فكيف يحسب كرامة من شاركه فيها طائر](1) •

(1) الفتوحات المكية جـ ٢ ص ٣٦٩ — ٣٧٠ •

بين الــــولى والنبى

ادعى بعض الصوفيـــة أن الولاية أفضل من النبـــوة ، لأن الولاية تنبىء عن القرب من الله ، والحب لله ، والتكريم منه عز وجل •

أما النبـــوة فتعنى الانباء والاخبـــار والابلاغ ، حيث تقول اللغة نبأ بمعنى اخبر ، وأنبأ بمعنى أخبر ، فهو نبىء أى مخبر من الله سبحانه ومخبر للناس •

وفرق كبير بين المقرب والمحب والمكرم ، وبين المنبأ والمخبر والمبلغ ، الا أن من يقول بأفضلية الولى على النبى للاعتبارات السابقة يذهب الى القول بأن كل نبى ولى أى أن النبوة تشمل الولاية[1] •

ومع موافقتنا للقول بأن الولاية جزء من النبـــوة وأن كل نبى ولى وذلك لأنه منبـــأ ومبلغ ومخبر وفى نفس الوقت مكرم ومحب ومقرب من الله سبحانه وتعالى •

الا أننـــا لا نستريح كثيرا لمجرد المفاضلة ، وذلك لتميـــز النبى عن غيره ومنهم الأولياء بأمور كثيرة منها :

أولا : انه مصطفى ومختار من بين الخلق ، ومزود بالكمال فى خلقته وأخـــلاقه •

ثانيـــا : انه مختص بالوحى حيث يحمل وحـــده كلمة السماء الى البشر •

---

(١) شرح المقاصد ج ٢ ص ١٥١ والفصل لابن حزم ج ٤ ص ١٧٠ •

ثالثـا : انه معصوم عصمة كاملة وبالتالى فهو مأمون العاقبة .

رابعا : انه شرف برؤية ملاك الوحى ، ومبعوث لاصلاح العالم .

خامسا : انه مؤيد من عند ربه بالمعجزة ، ويتحدى بها بأمر ربه سبحـانه ، ومطلوب منه اظهارها ، ولا يقـدر أحد على معارضتها وهى بمثابة التصديق له .

سادسا : ان كل ما ظهر ويظهر على الأولياء من كرامات ، انما هو قطرة واحـدة من بحر النبوة العظيـم ، الذى أفاض الله به سبحانه وتعالى على الأنبياء .

يقول أبو يزيد البسطامى [مثل ما حصل للأنبياء عليهم السلام ، كمثل زق فيه عسـل ، ترشح منه قطرة ، فتلك القطرة مثـل ما لجميع الأولياء ، وما فى الزق مثل ما لنبينا صلى الله عليه وسلم](١) .

سابعا : ان النبى متبوع فى أقواله وأفعاله وتقريراته ، فهو بالنسبة للجميع القدوة والمثـل الأعلى فى كل الأحيـان . أما الولى فهـو تابع للنبى .

ثم ان نهاية الولاية قد تكون بداية للنبوة وليس العكس بصحيح .

يقول الهجويرى [وبالاختصار فلو جمعت حياة الأولياء وتجاربهم وقدراتهم الروحية ، فانها لا توازى عملا واحدا من أعمال أحد الأنبياء الصادقين ، لأن الأولياء باحثين ، أما الانبيـاء فانهم وصلوا فوجدوا ، ثم رجعوا لهداية الخلق](٢) .

---

(١) الرسالة ج ٢ ص ٦٦٤ .
(٢) كشف المحجوب ص ٢٨٣ .

الـولى والتكاليف الشرعيـة

يدعى بعض من ينسبون أنفسهم الى الصوفيـة زورا ، أن الولى اذا بلغ الغاية فى المحبة وصفاء القلب ، تسقط عنه الأوامر والنواهى ، ولا يدخل النار بارتكابه الكبيرة[1] .

يقول الهجويرى [ان بعض الزنادقة يقـولون بمبدأ خطير مفاده أن عبـادة الله تعالى لازمة لنيل الولاية ولكن اذا بلغ الانسـان مرتبة الولاية أهملها][2] .

ونحن نوافق الهجويرى فى وصفه للقائلين بسقوط التكاليف الشرعية عن الولى ، أو اهمال الولى لها بعد وصوله لدرجة الولاية بأنهم زنادقة . فان مسلما صادقا فى اسلامه لا يجرؤ على القول بمثل هذا .

فالانسـان مخلوق للعبادة يقول سبحانه وتعالى **[وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون]** .

وبقاء الانسان حيا بين الناس ، يعنى استمراره فى دائرة التكاليف الشرعيـة ، ولا ترفع عنه الا أثنـاء نومه أو اذا جن أو كان طفـلا لم يبلغ الحلم .

ثم ان الأنبيـاء وهم القدوة ، والمثـل الأعلى ، والصفوة الممتـازة لا تسقط عنهم التكاليف ، بل انهم ليآخذون لأدنى زلة ، ويعاقبون على ترك الأفضـل . فكيف تسقط التـكاليف عن الأوليـاء وهم تابعون للأنبيـاء ؟ ! .

---

(١) شرح المقاصد ج ٢ ص ١٥١ والفصل ج ٤ ص ١٧٤ .
(٢) كشف المحجوب ص ٢٦٢ .

ولقد كان سيدنا محمــد صلى الله عليه وسلم خير العابدين مع أنه معصوم ومغفور له تقول السيدة عائشة رضى الله عنها ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يقوم من الليــل حتى تتفطر قدماه ، فقلت له لم تصنع هذا يا رســول الله ، وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال [أفلا أحب أن أكون عبدا شكورا] متفق عليه ، وتقول السيدة عائشة رضى الله عنها [كان رسول الله صلى الله عليــه وسلم اذا دخل العشر — أى العشر الأواخر من رمضان — أحيا الليل وأيقظ أهله وجد وشد المئزر] متفق عليه •

ولم ينقل عن الرسول صلى الله عليــه وسلم أنه أسقط تكليفا من التكاليف الشرعيــة ، أو لم يلتزم بتكليف منها فى أى لحظة من لحظات عمــره •

فكيف يقــال ان للولى أن يهمل العبادة أو التكاليف اذا وصــل الى درجة الولاية ؟ ! •

ثم ان الخطاب بالتكاليف المشتملة على الأوامر والنواهى عام لكل بنى البشر ، والرسول صلى الله عليه وسلم مرسل للجميع ، يقول سبحانه **[وماأرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لايعلمون]** سبأ / ٢٨ ، ويقول سبحانه وتعــالى **[قل يا أيها الناس انى رســول الله اليكم جميعا الذى له ملك السموات والأرض لا اله الا هو يحيى ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون] الأعراف / ١٥٨** •

وطالما أنه صلى الله عليه وسلم مرسل للجميع ، وأن الجميع مكلفون بشرعة ، ومن الجميع أولياء الله تعالى فهم مكلفون فى كل لحظة والقائل بغير هذا يتباهى بجنونه ويزهو بكفره •

وأجـــدنى فى النهاية أقول : ان القول بترك الأوامر والنـــواهى ، أو اهمال العبـــادة فى أى مرحلة من مراحل العمر هو قول مدسوس على الصوفية والأولياء ، وهو [خطأ محض حيث أنه لا يوجد مقام من مقامات طريق الحق يجوز فيه ترك العبادة](١) .

(١) كشف المحجوب ص ٢٦٢ .

الأوليـــاء وقضية النفـــع والضرر

ونأتى الى سؤال هل يملك ولى الله لغيره تحقيق النفع أو الضرر؟.

وماذا بعد موته هل يبقى تأثيره كما كان فى حياته ؟

والاجابة ببساطة شديدة تتلخص فى أن النافع والضار على الحقيقة هو الله عز وجل .

أما البشر فهم مأمورون بالأخذ بالأسباب فى كل أمور حياتهم .

والأسباب لا تعمل بنفسها وانما بارادة الله عز وجل .

وفى هـــذا الاطار يكفى أن نعلم أن الرسول صلى الله عليـــه وسلم وهو سيد الخلق لا يملك لنفســـه نفعا ولا ضرا ، ولا يملك تحقيق النفع لغيره أو الحاق الضرر به الا اذا أراد الله ذلك .

والقـــرآن الكريم يحدد دور الرسول صلى الله عليه وسلم فى أمور منها أنه نذير وبشير يقول سبحانه [**وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا**] سبأ ـــ ٢٨ ـــ ويقول سبحـــانه [**انما أنت نذير والله على كل** شىء وكيل] هود ـــ ١٢ ـــ .

وليس على الرسول الا أن يقوم بتبليغ الناس كلمة السماء يقول سبحانه [**ما على الرسول الا البلاغ**] المائدة ـــ ٩٩ ـــ ويقول سبحانه [**وان تولوا فانما عليك البلاغ**] **آل عمران ـــ ٢٠ ـــ .**

كما أن عليـــه أن يذكر يقول تعالى [**فذكر انما أنت مذكر . لست عليهم بمسيطر**] الغاشية ـــ ٢١،٢٢ ـــ .

وهو صلى الله عليـــه وسلم لا يملك الا التعريف بالطـــريق الحق ،

أما الهــداية فهى من الله سبحانه [**ليس عليــك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء] البقرة — ٢٧٢ —** •

ويقول سبحانه لرسوله [**انك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء] القصص — ٥٦ —** •

ويتلخص جزء كبير من وضع الرسول صلى الله عليه وسلم فى قوله **تعالى [قل لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا الا ما شــاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخــير وما مسنى السوء ان أنا الا نذير وبشــير لقوم يؤمنون]** الأعراف — ١٨٨ — •

ولقد تعرض الرســول صلى الله عليه وسلم طيــلة الفترة المكية للضغط النفسى والايذاء الجســدى ، وتعرض معه المســلمون الأوائل للتعذيب والحصار ، ولم يملك الا المقاومة فى صبر وايمان وظل على هذا الحال الى أن أمر بالهجرة الى المدينة المنورة •

ولقــد عانى الكثير أثناء الهجــرة وأصيب فى المعارك كغــيره من المحاربين •

واذا كانت المعجــزات قد ظهرت على يديه فليست من عند نفسه ، ولا يملك من أمرها شيئا وانما هى من عنــد الله سبحانه وتعالى تصديقا له فى دعواه واظهارا للقوم أنه على حق وأنه مبعوث رب العالمين •

وهو صلى الله عليــه وسلم القائل لابنته أم أبيها فاطمــة الزهراء [يا فاطمة اعملى فانى لا أملك لك من الله شيئا] •

واذا كان الرســول صلى الله عليه وسلم وهو أســمى ما خلق الله ، لا يملك النفع أو الضر لنفســه ، ولا يملك أن يحقق ذلك للغــير بذاته ، فمن باب أولى لا يملك الــولى اذ هو تابع للرســول • والكرامة التى

تظهر على يدى الولى هى أمر خارق للعادة غير مقرون بالتحدى ، يظهره الله سبحانه وتعالى على يديه لصـــلاحه الظاهر والباطن ، ولأنه يلتـــزم بمتابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذه المتابعة يصحبها بالضرورة الاعتقاد الصحيح والعمل الصالح •

والولى فى حياته يتميز عن غيره من الناس بأنه يوالى طاعاته لله ، ويعيش دائما فى دائرة الاحسان ، ومن كان هذا شأنه فان الله ســبحانه وتعالى يتولاه بالرعاية ويقربه من ذاته ويحبـــه يقول الحديث الشريف قال الرســـول صلى الله عليه وسلم ان الله تعـــالى قال [من عاد لى وليا فقد اذنته بالحرب ، وما تقرب الى عبدى بشىء أحب الى مما افترضت عليه ، وما يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذى يســـمع به وبصره الـــذى يبصر به ويده التى يبطش بهـــا ورجله التى يمشى بها ، وان سألنى أعطيتـــه ولأن استعاذنى لأعيذنه] رواه البخارى عن أبى هريرة •

الولى اذا تابع أمين للرسول ، منفذ لتعاليم الله ورسوله ، صادق فى عبوديته ، موال لطاعة الله ورسوله ، محب لهما •

ومن كان أمره كذلك فان نفعه للغير يتحقق اذا حاول هنا الغير أن يلتزم بما عليه ولى الله ، واتخذه مثلا أعلى ، وقدوة فى كل التصرفات ، ونفذ توجيهـــاته ، واستجاب لدعوته التى هى أصـــلا دعوة الرســـول عليه السلام •

آن ذاك يتحقق التوجه من الغير الى الله بطريقـــة صحيحة فيكون الفوز برضوانه عز وجل •

كما يكون النفع باستجابة الله سبحانه وتعـــالى لدعوة الولى حيث يقول عز وجـــل [**وان سألنى أعطيته**] وربما يكون النفـــع برفع البلاء

عن فئـة من الناس رحمة من الله بالولى الـذى معهم ، وتكريما منـه عز وجـل له ٠

أما أن ينفع الولى بذاته ، أو يضر بذاته فـلا ٠ ومن اعتقد تأثير الولى بذاته فى الأشياء يشك فى ايمانه ٠

هذا كله يكون فى حيـاة الولى أما بعـد الممات فانه لا يملك دعوة الناس الى الصـلاح ، كما لا يملك التـوجه الى الله بالدعاء ، لخروجه عن دائرة التـكليف ، ودخوله فى عالم البرزخ انتظارا للقيـامة الكبرى وبالتالى ينتفى نفعه للناس بأى صورة من الصور ٠

وعلى هـذا نرى أن التمسح بأضرحة الأوليـاء مثل ضريح الحسين رضى الله عنه ، أو ضريح السيدة زينب رضى الله عنها أو غيرها ، والتماس البركة من المدفونين تحت الأضرحة أو سؤالهم أن يطلبوا من الله كذا أو كذا ، هذا التمسح أو التصرف لا يعنى الا قلة العقل ، وضعف الايمان ، وصاحب هذا التصرف اذا كان معتقدا أنه على حق ، فعليه أن يسارع الى الى تصحيح اعتقاده والا أثم ٠

يقول ابن تيميـة [وأما قول القائل نحن فى بركة فلان ٠٠٠ فهذا الكلام صحيـح باعتبار باطل باعتبار ٠٠٠ فبركات أوليـاء الله الصالحين باعتبار نفعهم للخلق بدعائهم الى طاعة الله ، وبدعائهم للخلق ، وبما ينزل الله من الرحمة ويدفع من العذاب بسببهم حق موجود ، فمن أراد بالبركة هذا وكان صادقا فقوله حق ـ وهذا هو الاعتبار الصحيح ٠ أما الاعتبار الخاطىء ـ فمثـل أن يكون رجل مقبورا بمكان فيظن أن الله يتـولاهم لأجله وأن لم يقوموا بطاعة الله ورسوله فهذا جهل](١) ٠

فـولى الله يحب ما يحب الله ، ويبغض ما يبغـض الله ، ويرضى

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية جـ ١١ ص ١١٣،١١٤ ٠

بمـــا يرضى الله ، ويسخط بما يسخط ، ويأمر بما يأمر ، وينهى عما ينهى وطاعته لله تتتابع •

ومن هنا كانت متابعته مؤدية لنفع عظيم وكان دعاؤه مستجابا باذن الله وهذا كله فى حياته أما بعد مماته فلا شىء •

أما الرسول فدعوته باقية ما بقيت الدنيا ، متمثلة فى القرآن الكريم والسنة المطهرة•والالتزام بدعوته واجب على كل من أراد الفوز برضوان الله عز وجل •

أهم المراجـــع

١ — بصائر ذوى التمييز — مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزأبادى — المكتبة العلمية بيروت •

٢ — تاريخ الخلفاء — جلال الدين السيوطى — تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد •

٣ — التعرف لمذهب أهل التصـــوف — أبو بكر الـــكلاباذى — الكليات الأزهرية ١٩٨٠ •

٤ — التعريفـــات — للجرجانى — دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٣ •

٥ — تفسير الفخر الرازى — الفخر الرازى م٩ — دار الفكر ط أولى ١٩٨١ •

٦ — جامع كرامات الأولياء — يوسف النبهانى — ط الحلبى ١٩٨٤ •

٧ — حلية الأولياء — أبو نعيم الأصفهانى — دار الكتب العلمية بيروت•

٨ — الحياة الروحية فى الاسلام — د•محمد مصطفى حلمى — الهيئـــة المصرية ١٩٨٤ •

٩ — الرسالة القشيرية — أبو القاسم عبد الكريم القشيرى — دار الكتب الحديثة بالقاهرة •

١٠ — السيرة الحلبية جـ ٣ — على بن برهان الدين الحلبى — دار المعرفة بيروت •

١١ — شرح المقاصد — سعد الدين التفتازانى — طبعة ١٢٧٧ هـ •

١٢ — طبقات الشافعية الكبرى جـ ٢ — تاج الدين تقى الدين السبكى — دار المعرفة بيروت ط ٢ •

١٣ — الفتــاوى — شيخ الاسلام ابن تيمية — مكة ١٤٠٤هـ •

١٤ — الفتوحات المكية — محيى الدين بن عربى — مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة •

١٥ — الفصــل — ابن حزم — مكتبة السلام العالمية •

١٦ — كشف المحجوب — أبو الحسن على بن اسماعيل الهجويرى — دار التراث العربى بالقاهرة •

١٧ — اللمــع — أبو نصر السراج الطــوسى — دار الكتب الحديثــة بمصر ١٩٦٠ •

الفهـــرس

رقم الايداع ٨٢٠١ / ١٩٨٩